المدارس الأهلية ودورها للحفاظ على اللغة العربية عند مسلمي الألبان

أ . عبيد عثماني

لقد اهتم الإسلام بالعلم والعلماء أعظم الاهتمام وحث على التعليم بشتى المجالات الدينية والكونية والمادية. ولعبت المساجد دورا أساسيا في نشر المعارف والعلوم والثقافة من خلال تأسيس مكاتب علمية بصفتها مدارس بدائية لنشر العلم بين الناس منذ أول ظهوره إلى أن طورها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى نظام تعليمي منتظم.

رغم التطوير التنظيمي بكافة أشكاله الذي شهد المنظومة التعليمية مع مرور القرون، حافظ نظام عمر بن الخطاب التعليمي على هويته التقليدية التي نعرفها باسم "التدريس في المكاتب" والذي أدى نفس الدور الذي تؤديه إلى يومنا هذا، في نشر العلم خاصة في العلوم الدينية وتقديم المعرفة في مجالات مختلفة من ضمنها تقديم الدروس الخاصة لتعليم اللغة العربية كأحد الأهداف الرئيسية وذلك مجانا ودورها دور مكاتب المساجد في بلادنا. وساهم التعليم الديني في نشر اللغة العربية من خلال تأسيس مكاتب تعليمية وتنظيم دوائر التعليم في البيوت المجاورة للمسجد أو في بيت إمام المسجد أو أماكن أخرى بمبادرة فردية أو جماعية في القرى والمدن. وكانت هذه المكاتب تشكل ينابيع العلم وكأنها حدائق ذات الزهور تنشر العلم، ولا يستطيع أحد إنكار الدور العظيم الذي لعبت هذه المؤسسات الدينية في خدمة العلم والمعرفة.

وقد أولى الأكاديمي يشار رجباكيج اهتمامًا بالغا لهذه الحقيقة وهو تأكيد المسؤولية التي لعبت تلك الدور في تثقيف الشعوب وخدمة الدين الاسلامي وتعليم اللغة العربية حيث يقول: "تم تأسيس مدارس الأطفال داخل المساجد لتقام مع مرور الوقت في أماكن أخرى من مبان مجاورة أو تم إنشاءها في مناطق مخصصة لأطفال المساكين بما تعرف بـ"مدارس سبيل"، والتي تقدم بالإضافة إلى التعليم المجاني فرصة العيش المجانية للمشاركين، وفي تلك المدارس الابتدائية تم تعليم القراءة والكتابة والحساب واللغة العربية والدين، كما تم تعليم الأطفال السباحة، ووفقا لهذه المدارس، تم إنشاء المدارس المبدئية بالمساجد في بلادنا" و يضيف : "تمت إجراء عملية التعليم في المساجد على مدار القرون حيث تم تعليم العلوم الدينية بجانب العلوم الدنياوية مثل علم الهندسة وعلم النجوم والطب والتاريخ والجغرافيا والأدب".(١)

من أجل التغلب على الادعاءات المتعلقة بتعليم تلك الفترة واتهامات بالتأخر في مجال التعليم بذريعة إنكار الإسهام الإسلامي في نشر العلم والمعرفة والادعاء أن التعليم في الغطاء الاسلامي كان كله ديني بعيدا عن العلم الوضعي، ويؤكد الأكاديمي رجباجيك أنه "لغرض التقييم الموضوعي لدور المدارس الاسلامي في هذا السياق، من الضروري أيضًا تصحيح بعض الاراء التي تدعي على أن المدارس التركية الإسلامية كانت ذات طابع ديني فقط، وليس لها قيمة تعليمية على التوالي".

وما ذهب إليه الدكتور رجباكيج يسانده قول الباحث البوسني صفوت بيك باشخج المتخصص في اللغة التركية إذ يقول: " أن المنكرون للحقيقة يدعون أن وطننا عاش قرونا مظلمة أثناء الحكم التركي تحت الظلام والعبودية إنما هي أقوال سخيفة لا أساس لها".

وهو عازم على تقدير دور المدارس الدينية في تعليم الجماهير، والسعي إلى عدم تجاهل دورها في تعليم المسلمين العلوم المختلفة خاصة اللغات العربية والتركية والفارسية يدعو إلى تعديل الأفكار وتجنب التمييز على أسس عرقية أو دينية قائلا: " لا ينبغي في القرن العشرين سوء التقدير بأن ما يأتي من الشرق هو التخلف والتأخر ذلك من الادعاءات الكاذبة ؛وفي هذا السياق يجب أن نعترف

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

بأن التعليم هو تعليم سواء جاء من الشرق أو الغرب على حد سواء "(١)

في ختام كلامه في الموضوع، يختصر رأيه بالقول: "الاستنتاج المفضل لدى العاملين التربويين هو الذي استخلصه المؤلفون لكتاب "تاريخ شعوب يوغسلافيا "، اذ يقولون إن " الفكر السائد في التاريخ بأن قدوم الأتراك في منطقة البلقان قد أوقف كل العمل الثقافي والتعليمي والإبداعي، يجب إجراء بعض التصحيحات عليه لأنه يناقض الحقيقة".

والحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي بأن المساجد كانت تساهم في جميع الأوقات في عملية التدريس والتعليم، بشكل أساسي والمباشر من دوائر التدريس والمكتبات المليئة بالكتب معظمها باللغة العربية شأنها في بلادنا شأن جميع المساجد في أي مكان آخر في العالم. والدليل على ذلك هو وضع مساجدنا، ومكاتبها، المكتبات الخاصة للعلماء، وتطورها في العصور الحديثة الى المؤسسات المتكاملة والتي أن دلت على شيئ فتدل على مدى نشر المعرفة طوال الفترة الماضية.

وفي البوابة الإلكترونية لصحيفة "داناس" الصربية، نشر المؤلف بويان تشفييتش بحثا حول المواقع الأثرية لـ ٢٧٣ مسجداً ومصلى كانت موجودة في مدينة بلغراد، باعتبارها أكبر عدد من هذا النوع التي وجدت في بلغراد في فترات مختلفة. وفيما يتعلق بالموضوع الذي نكتب عنه، يقول: "من المثير للاهتمام الملاحظة أنه في نهاية القرن الثامن عشر، وجدت أول مكتبة للمدينة هي التي أنشئت في مسجد سلطان محمود. وتعتبر هذه أول مكتبة لمدينة بلغراد عاصمة صربيا"(٢)

ومع ذلك، فإن هذه الحقيقة تجلب الانتباه إلى تاريخ ظهور أول مكتبة في بلغراد، حيث أكبر عدد من الكتب باللغة العربية، ويقع في المسجد المذكور.

العلم والتعليم هما عاملان مهمان في عقيدة الاسلام، لذا لا يمكن فصلهما عنها بأي حال من الأحوال. كما كانت اللغة العربية ذات أهمية خاصة للمسلمين، في جميع أنحاء العالم لأنها لغة الدين ومصدريه الأساسيين- القرآن والسنة.

وكان تعليم اللغة العربية أحدى المواد الرئيسية في جميع المدارس. هذا ما يؤكده علماء تلك الفترات قائلين أنه في جميع الدول الإسلامية في منطقة البلقان، مثلت المدارس مستوى تعليميا متطورا حيث قام الطلاب بتعمق دراساتهم في مختلف العلوم اللغوية والأدبية من خلال تعلم المواد الرئيسية مثل: اللغة والشعر والبلاغة. كما تم تدريس العلوم الدينية في الفقه الإسلامي (الفقه)، والتفسير، والحديث، والعقيدة، وما إلى ذلك. تجدر الإشارة إلى أن أهم المادة وأكثرها تركيزا هي اللغة العربية، وذلك بسبب استخدامها في المعاملة بين المسلمين باعتبارها لغة القرآن والعلوم الدينية الإسلامية.(٣)

لم يقتصر التعليم على المسلمين وأبناءهم فقط بل كان مفتوحا للجميع الناس بغض النظر عن الأديان أو العرق. ليس أمرا يستهان به أن تبنى الأماكن المخصصة للتعليم بجوار المسجد ويعين للتعليم أناس متخصصون ولا شك أن اللغة العربية كانت من المواد الرئيسية فهي بوابة الدخول إلى العلوم الدينية.

جميع الأدلة التي جمعناها تدل على أن تدريس اللغة العربية كان جزءًا لا يتجزأ من جميع المناهج الدراسية وعلى رغم ذلك، فلا توجد وثائق مكتوبة تشير إلى طرق وصول اللغة العربية كلغة تعلم في الأراضي الألبانية أو وجود مؤسسات خاصة لتعليمها.

عموما لا يعرف كم كان العدد الإجمالي للمدارس في ذلك الوقت، لأن مصادر الزمان المكتوبة لا تذكر شيئا ملموسا. إن المصدر الوحيد للتعرف عليها هي مدونات الرحالة التركي الشهير أوليا شلبي (هو الرحالة التركي المشهور الذي عاش في النصف الثاني من القرن السابع عشر ولد بمدينة إسطنبول سنة ١٠٢٠ الهجرية ١٦١١ ميلادية ولا تعرف بالضبط سنة وفاته. كان يشارك الوزراء والمسؤولين في رحلاتهم ويدون ما رآه وعايشه من الآثار والمواقع والأخبار والأحداث.) أحد المراجع القليلة حتى الآن. من ثم فإن المصادر التاريخية تفتقر في بياناتها عن معلومات التي تدل على المدارس في ذاك الزمان، فمن الصعب الوصول الى معرفة حقيقية عن العدد الإجمالي للمكتبات التعليمية في مقدونيا وكوسوفا والجبل الأسود. ولكن يعتقد بأن في هذه البلاد قد كانت هناك أكثر من ١٥٠ مكاتب تعليمية.(٣)

كيف وصلت اللغة العربية في الأراضي الألبانية؟

انتشرت اللغة الألبانية في الأراضي الألبانية مع دخول المسلمين فيها وإن كانت منطقة كوسوفا لا تعرف تقدما كبيرا في الفترة الأولى في نشر اللغة العربية كما شهدت المناطق الألبانية الأخرى حيث تطور في تلك المناطق المجاورة تعليم اللغة تطورا مثمرا للغاية.

على الرغم من الصعوبات الكثيرة التي تواجهنا في عملية بحثنا، علينا التحقيق في مسيرة اللغة العربية في الأراضي الألبانية ومدى تعليمها وتعلمها في المؤسسات الرسمية والخاصة ونبحث عن المساهمات المؤسسية أو الفردية في خدمة تعليم اللغة العربية.

خلال بحثي حول هذا الموضوع، توصلت إلى بعض المؤشرات التي من شأنها أن تساهم في إلقاء الضوء على هذا المجال من الدراسة. أعتقد أنها نقاط تشير إلى العنوان المحتمل للموارد و المصادر التي تدلنا على طرق وصول اللغة العربية إلى الديار الألبانية.

ومساهمة لجمع المعلومات لهذا البحث، تمكنت من إيجاد خيوط تعطينا أدلة تقريبية على طرق وصول اللغة العربية إلينا ونخلص إلى عدة عوامل سنذكرها فيما يلي:

١. لا شك أن الأتراك العثمانيون، مع وصولهم إلى هذه الأراضي أتوا بقدرات عقلية وثقافية كبيرة من ضمنهم العلماء ورجال الدين، كان عليهم تعليم الناس المبادئ الدينية وتوفير المعرفة الضرورية. كما يتفق الجميع على أن قطاع التعليم تحت سيطرة العثمانيين كان يحظي برعاية كبيرة وأنهم قد قاموا بعناية خاصة بغية التعليم وتثقيف الجماهير، ولتحقيق هذا الغرض أرسلوا المتخصصين إلى القرى النائية. كما يتفق علماء التاريخ والباحثين في اللغة أن في مدارس تلك الفترة تم تدريس المعارف المختلفة وليس هناك أي شك في أن العلوم الدينية هي الهدف الأسمى. في ضوء هذه الحقيقة وإدراكًا لأهمية اللغة العربية، يمكننا القول بأن تعليمها قد حظي باهتمام كبير سواء من المؤسسات الرسمية أو من الأفراد لأنها وسيلة إلى فهم الشريعة الإسلامية وقراءة القرآن الكريم. على هذا المستند يمكننا أن نقول أنه كان يتم تدريسها دائما كمادة خاصة وأحيانا تتشارك مع مواد أخرى. ويتضح هذا الواقع من خلال عرض المناهج الدراسية والمواد العلمية التي كانت مقررة للتدريس.

٢. تظهر الدراسات أن أهم المؤسسات التعليمية في فترات زمنية مختلفة كانت المدارس الخاصة لتدريس القرآن الكريم " دار القرآن" و التي تعلم علوم الحديث أو "دار الحديث" و مما لا شك أن بجانب تعليم المادة الأساسية كانت تقف اللغة العربية.

٣. في مراحلة لاحقة، سلك الطلاب من هذه الأراضي طريق العلم من خلال السفر إلى مراكز العلم الرئيسية في العالم الإسلامي مثل: اسطنبول والقاهرة ودمشق وأدرنة والمدن الأخرى ذهبوا هناك للتعليم وحصول العلم وبعد تعليم العلوم الدينية المختلفة عادوا إلى بلادهم ليخدموا في تعليم الإسلام. ومما لا شك فيه أن هذه العملية كانت مساهمة مباشرة في انتشار اللغة العربية وتطورها والتي شهدت تقدما ومسيرا مستمرا في تعليم اللغة حتى في أيامنا هذه، ويتحث الناس عن آباءهم وأجدادهم الذين كانوا يدرسون في المراكز الشهيرة في العالم الإسلامية.

٤. عنصر مهم في هذا المجال هم المتبرعون وأهل الخير الذين أسسوا الأوقاف في سبيل الله وكان لهم الدور الاساسي في إثراء المكاتب الإسلامية من خلال إنفاق أموال طائلة لدعم الثقافة الدينية، ومن خلال ذلك يدعمون مباشرة تثقيف الشعوب باللغة العربية في مختلف المجلات. مما لا شك فيه أن كتب اللغة العربية احتلت مكاناً خاصاً في تلك المكاتب بسبب مكانة اللغة العربية بجانب المساعدات الإنسانية الأخرى.

كان هذا التبرع هو الحال مع تأسيس مكاتب مختلفة حيث وضع المتبرع داخل المؤسسة التعليمية ما هو ضروري لتلبية احتياجات الطلاب وأعضاء هيئة التدريس أو غيرهم من القراء. ومن بين هولاء المانحين نذكر عيسى بك(٤)، الذي تبرع بكافة الكتب التي يملكها إلى المدرسة الاسلامية في سكوبيا والتي تحمل اسمه.

وهناك قائمة بأسماء الكتب التي تم اهداءها، باسم " الوقفية " كدليل على الزمان والتي تحتوي على أسماء الكتب التي تبرع بها أهل الخير لخدمة المدرسة الاسلامية. وهناك أمثلة من التبرع بالكتب في المدارس بكوسوفا. هذا ما كان عليه الواقع من إثراء المكاتب العامة من خلال التبرعات مع إنشاء المدارس أو إنشاء مؤسسات تعليمية على حد سواء.

٦. إن إحدى الطرق المؤكدة لوصول اللغة العربية إلى الأراضي الألبانية هي الرحالات العلمية التي جاءت من أجل

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

تنوير العقول والنفوس ومحو الجهل. وخلال هذه الدراسة، وقفنا على عدد من البعثات العلمية التي قام بها علماء أفاضل الذين أقاموا دروسهم المهنية باللغة العربية. من بينهم نذكر العالم الشهير طاشكوبري زاده الذي كان عالماً جليلاً قضى معظم حياته في سكوبيه وقام بتدريس الآخرين. وفقا لما يكتبه هو عن رحالاته، فقد قام بتعليم الكثير من الكتب المعروفة التي تعتبر من المصادر الرئيسية لهذا العلم حيث قام بتقديم شروحه وتعليقاته على كتب في الحديث النبوي وذكر من بينها كتاب مصابيح السنن للإما البغوي في مدينة سكوبيه التي كانت مركزًا علميًا مهمًا للغاية ويمكن مقارنتها في ذلك الوقت بالمراكز الإسلامية الكبرى في العالم الاسلام بحيث يقارنها أولياء شلبي في أسفاره بسراييفو وحلب والبغداد.(٥)

وكانت مدينة سكوبيا، في تلك الفترات المبكرة، بمثابة راية في التعليم الديني للمنطقة بأكملها. وكان هناك علماء معروفون من العالم الاسلامي الذين جاؤوا ليقدموا الدروس فيها من حين لآخر، كما كانت هناك جولات للعلماء من مختلف مراكز العالم الإسلامي من وإلى سكوبيا الذين ساهموا في نشر العلوم الدينية على رئسها اللغة العربية ومنهم العالم الشهير أسحاق الشلبي الذي كان مدرسا في أدرنه، اسكوبيا و بروسه وازنيك والذي كان يخطب في عام ٩٣٣ ه/ ١٥٢٦م في دار الحديث في أديرنه (٦) ومن ناحية أخرى كان الشلبي قادراً على التدريس في مراكز تعليمية مهمة في أماكن مختلفة من العالم الاسلامي مما يجعلنا نعتقد أن طلبة العلم والناس عامة قد استفادوا منه وأفدوا الآخرين(٧).

ومن المؤكد أن الباحثين من بعدنا في هذا المجال سيكشفون عن حقائق أخرى تضيء الأنشطة الكثيرة في هذا الصدد، في مختلف المراكز حول الأراضي الألبانية. الهدف من الأمثلة المعروضة في بحثنا نتمنى أن تكون بمثابة حافز لمزيد من الدراسات. إن الوصول إلى الوثائق الرسمية التي تتحدث عن تطور التعليم الإسلامي في البلقان، وخاصة في الأراضي الألبانية، سيعكس صورة واضحة للغاية عن تعليم اللغة العربية والمؤسسات التعليم بشكل عام خلال تلك المرحلة.

الجهود الفردية لتعليم اللغة العربية؟

لم يكن في كوسوفا أي نشاط عام أي المؤسسي يخدم تعليم اللغة العربية في الفترة الشيوعية حتى تثبت لنا اليوم أنه كانت هناك أنشطة عامة في تعليم اللغة العربية.

أنا شخصيا، أجريت البحث عن مثل هذه الآثار، وذلك من خلال البحث في الوثائق التاريخية ومقابلات الأئمة الذين أتيحت لهم الفرصة ليعيشوا ويعملوا في النصف الأول من القرن العشرين الى المرحلة الشيوعية التي حظرت فيها السلطة عمل المدراس الإسلامية، وحمل الأئمة عبء تعليم العلوم الإسلامية وجدت أن تعليم اللغة العربية واصل مسيرته من خلال طريقتين:

١. تنظيم دورات التدريس الديني بالمساجد بنفس الشكل الذي نعرفه في مساجدنا في يومنا هذا.

٢. تعليم الطلاب لدى العلماء الذين قاموا بتقديم دروس بشكل تطوعي.

هناك كثير من العلماء في المناطق المختلفة قدموا التعاليم الدينية مجانا. يأتي إليهم التلاميذ من الأماكن المختلفة. ويعتبر مثيرا للاهتمام تدوين مساهماتهم في كتب لتكون دليلاً على تضحيتهم المستمرة في خدمة القضية الإسلامية. وفيما يتعلق بمساهمات هذه الفئة، أعتقد أنه من المفيد تنظيم بعض المؤتمرات أو البحوث الميدانية حتى يتم تبييض جهودهم لأنها مع مرور الوقت تمحى وتطوى.

وبناء على ما سبق من الكلام نستخلص أن العديد من الأئمة قاموا بتنظيم دورات تعليمية التي لعبت نفس الدور الذي تلعبه المدارس في عصرنا الحديث ومن المعروف أن منطقة بريشيفا في كوسوفا الشرقية كانت تشتهر بكثرة الدورات الدينية التي أقيمت في المساجد والبيوت يشارك فيها الطلاب إلى مرحلة النضج التعليمي والذي في النهاية كان يحصل على الشهادة الأهيلية أو ما يعرف تقليديا بالإجازة العلمية. ومن ثم كان من الطبيعي أن أوجه بحثي نحو هذه المنطقة. وخلال المقابلات التي أجريتها مع الائمة تعرفت على المواد التي تم تدريسها. من بينها المواد الدينية مثل: القرآن الكريم والفقه و اللغة العربية ونحو ذلك.(٨)

نذكر من بين هولاء العلماء الشيخ الحاج الحافظ محمد غاشي (هو أحد الشيوخ الكبار في كوسوفا توفي قبل سنوات عاش طوال الفترة الشيوعية وتخرج على يديه عدد كبير من طلاب العلم لازموه واستفادوا منه خاصة في تحفيظ القرآن

الكريم وحصلت على المعلومات من ملفه الموجود بالوقف الإسلامي بمدينته بيا بتاريخ ١٨,١٢,٢٠١٨) المعلم الكبير والعالم الشهير في أنحاء كوسوفا. وكان الحاج غاشي أحد التلاميذ النادرين الذين تعلموا في المدرسة الكبيرة في مدينة جاكوفا لفترة طويلة حيث عاش قرنا كاملا أي طوال القرن العشرين. وقد تلقى أول تعليمه للغة العربية في فترة من الفترات كانت اللغة العربية تدرس في بيوت الأئمة والعلماء ومكاتب الدينية و حسب تصريحاته كانت اللغة العربية تدرس كمادة مستقلة طبقا لبرنامج دراسي الذي يشبه مناهج تعليم اللغة العربية في مدرسة الحافظ نجات أحميتي و سنتحدث عن الأخير بشكل أوسع لاحقا.

وضع اللغة العربية في كوسوفا بعد الحرب العالمية الثانية

المكاتب والبيوت المدرسية

التغييرات التي حدثت مع سقوط الخلافة العثمانية أثرت في مجالات مختلفة من الحياة. وأصبح من الضروري اتباع نهج جديد في تنظيم عملية التدريس في ألبانيا في وقت قد أوشكت المدارس الاسلامية على وقف أنشطتها وأغلاق أبوابها وقد أنهارت بعضها فعليا مما أوضحت أن الشؤون الإسلامية لا تشكل أهمية ولا مكانة في جدول أعمال المؤسسات العامة. وكان كذلك الوضع في كوسوفا والمناطق المحيطة بها حيث يعيش المسلمون الألبان.

تخلت الدولة عن تعليم الدين بطريقة منظمة ولكن لم يكتفوا بذلك فقط لأنهم قد وضعوا العديد من العقبات والضغوطات صارت مستمرة لإيقاف أي مصدر امتصل بتعليم الدين. بطبيعة الحال، كان حظر تدريس اللغة العربية هدفاً ثابتاً لأنه من خلاله يمكن التعرف على العلوم الإسلامية.

ومع ذلك، فإن السلطة بكل آلياتها لم تحقق هذا الهدف أبداً لأن تعليم اللغة العربية استمر بالرغم من العراقيل المستمرة على علماء المسلمين لايقاف أنشطتهم الدينية.

ولاثراء دراستنا وتقديم الأدلة لهذا المؤتمر، قمنت بالنظر في تفاصيل هذه المسألة وتطوراتها خاصة في إقليم كوسوفا ووادي بريشيفا حيث اتصلنا بالأشخاص الذين كانوا ناشطين في مثل هذه المجريات وأسهموا في تعلم اللغة العربية.

إن تعليم اللغة العربية في كوسوفا لم يتوقف قط وأنه استمر حتى في أصعب فترات الشيوعية. في هذا الصدد، توصلنا إلى تحديد بعض الحقائق التي تعكس واقع تعلم العلوم العربية والإسلامية بشكل عام. لذلك على هذا الأساس سوف نقدم بحثنا الذي ينشر لأول مرة في هذا المؤتمر وفقا لأهدافها. لذلك، سنقدم المواصفات المميزة توضح لنا مجريات الأحداث.

دور المسجد والمكاتب في التعليم والحفاظ على اللغة العربية

بعد حظر المؤسسات العامة – المدارس الدينية – التي كانت مصدرا لتعلم اللغة العربية، انتقلت مسؤولية تعلم اللغة العربية والحفاظ عليها إلى التنظيم التقليدي من خلال المكاتب. والتي كانت عادة تخص البنية التحتية المصاحبة للمسجد، سواء في العالم الإسلامي أو في كوسوفا. كما كانت رمزا للمعرفة وحقائق عن التعليم والتعلم عبر التاريخ، وقد تم بناؤها مع المسجد ملصقة بها لتمكين المؤمنين من التعليم في كل من النظرية والتطبيق. لطالما لعب المسجد دوره التدريسي وتم تطوير التعلم في المسجد أو في مكاتبها داخل المساجد أو مجاورا لها.

استمر التعليم بالشكل التقليدي وتم تدريس اللغة العربية لفترات طويلة في مكاتب المساجد بكوسوفا أو عند مسلمي الألبان عامة. والحاجة اقتضت ذلك لأن الحفاظ على الدين أصبحت مسؤلية لكل مسلم فكانت بوابة العليم الديني المسجد أو المكتب.وخرجت المساجد أجيالا يدرسون الأحرف العربية ويتلفظون بها حماية على الهوية الإسلامية.

قام الطلاب الذين درسوا في المسجد – للتعلم، بتدريس الحروف العربية لأول مرة حيث كان لديهم منهاج دراسي بسيط عبارة عن بعض الصفحات التي فيها الأحرف مكتوبة باللغة العربية، ومقاطع، وربط الحروف بكلمات مختلفة، وعرض أمثلة على اتصال الجمل ثم بدأت القراءة. كانت الدورة التدريبية ذات نموذج مكثف ولفترة قصيرة قام الطالب بتعليم الحروف العربية. ليس هناك شك في أن المقصود كله تعليم القرآن، ولكن في نفس العملية تم تدريس حروف اللغة العربية وكانت هذه الجهود للحفاظ عليها في أوقات صعبة للغاية. كانت طريقة تدريس اللغة العربية هذه موجودة في جميع المساجد تقريباً في كوسوفف وضواحيها.

للإدلاء بشهادتي على مثل هذه التأكيدات، قمت بإجراء أبحاث ميدانية ومقابلات مع الأشخاص المسؤولين والأئمة

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المعروفين الذين يتداولون ذكرايات الزمان، وكذلك استخدمت مصادر أخرى وسأقدمها في دراستي.

دور بيوت الأئمة في تعليم اللغة العربية

تم تنظيم الدروس لتعليم اللغة على مستويين:

المستوى الأول:

في حالة عدم وجود المدارس الدينية تمت عملية تدريس الدين في القطاع الخاص الذي كان يلعب دور المدارس والمنازل وضعت على مهمة تعليم اللغة العربية التي هي مدخل لتعليم العلوم الاسلامية.

وشارك في هذه الدورات، أفراد أرادوا اكتساب لمعرفة الإسلام، وكانت هذه هي الفرصة الوحيدة للمسلمين للتعلم. وقد نظمت هذه الدروس من قبل الأئمة الذين عقدوا دورات مكثفة على مدار السنة. وكان يكتفي بعض الطلاب بالدروس الأساسية وبما فيه الكفاية مع التأهل لقراءة القرآن في حين أن البعض الآخر تقدم في توسيع معارفهم بالتعميق في العلوم المختلفة و نستخلص أن معظم المساجد في جميع أنحاء كوسوفا قدمت دروس في اللغة العربية حيث تم تدريسها والحفاظ عليها بالإضافة إلى السعي لتحقيق الأهداف التعليمية الدينية.

المستوى الثاني:

كما أدى غياب المدارس الدينية في نطاق واسع إلى عدم وجود الأئمة كطبقة ضرورية في المجتمع لتعليم الإسلام وعلومه. كانت مهمة استخراج الأئمة المؤهلين مهمة ضرورية للحفاظ على التعليم الديني الإسلامي. وكانت هناك حاجة لاستخراج الكوادر الدينية الذين يقومون بوظيفة الإمام والمعلمين الدينيين. إن الله يحفظ دينه، ويستخدم في هذه الخدمة من يشاء. في تلك الأوقات الصعبة، قام أفراد من علماء الدين بأداء الأمانة التي وضعت في أعناقهم وهي تولى تعليم الكوادر الإسلامية لخدمة قضية التعليم، وتحولت بيوتهم إلى المدارس حيث يأتي الطلاب ويتعلمون المعرفة الدينية حيث يستمر لسنوات حتى تصل إلى المرحلة الاخيرة بالحصول على الترخيص "الاجازة" التي أصبحت شهادة للتأهيل العلمي.

أثناء البحث لهذه الدراسة وجدت أن في كوسوفا والمناطق المحيطة بها وجد علماء من البارزين الذين قاموا بتحمل هذه المهمة العظيمة والذين فتحوا أبواب بيوتهم وحولتها إلى مدارس يتعلم فيها الطلاب.

مدرسة " الحافظ نجاتي أحمدي في وادي بريشيفا ودورها في الحفاظ على اللغة العربية بناء على عدم وجود سجلات مكتوبة تتعلق بعمله والمدرسة الخاصة التي قادها، فقد تلقينا الشهادات الشفوية لأحد تلاميذه،وهو الشيخ شناسي فيض الله(٩)، الذي لا يزال على قيد الحياة وصل إلى الثمانينيات من عمره. والذي يروي عن شيخيه فيض الله صالحو(١٠) المعروف بـ(فيزا غيراي) حسب قرية ولادته في شرق مدينة بريشيفا والذي يشهد بان شيخ نجات كان يأخذ عنه العلم باعتباره حلقة في الاسناد.

وتشتهر منطقة بريشيفا بعدد علماءها متميزين ودعمت هذه المنطقة باقي الاراضي الألبانية بمجموع من الكوادر الدينية من القراء والحفاظ ومعلمي الدين ولعب الدور الرئيسي في اعداد ذاك العدد الغافير منهم الحافظ نجات أحمدي(١١)، مدرس وادي بريشيفا حيث قام باعداد كوادر دينية من تلاميذه في أشد فترات الشيوعية في البلاد.

إسهاما في البحث جمعنا شهادات طلابه الذين لا يزالون على قيد الحياة وحسب شهاداتهم فإن في مدرسته رحمه الله قد أقيم تعليم اللغة العربية كمادة رئيسية باعتبارها الباب الوحيد لا يستطاع الاستغناء عنه لدخول في المعارف الدينية ومن هنا نقول أن خلال فترة العمل في هذه المدرسة تركز بشكل رئيسي على مادتين رئيسيتين ؛ اللغة العربية أولا و الفقه الإسلامي لاحقا.

في المرحلة الأولى، جرى تعليم الأبجدية العربية، الكتابة، القراءة، في محاولة احتضانها قدر الإمكان. ثم تم تدريس الطلاب مورفولوجيا وبنية اللغة العربية (النحو والصرف). وقد حظي التأهيل في هذين المجالين اهتماما خاصا وبذل اقصى الجهود لسنوات عديدة حتى الوصول الى الإجازة أي التأهيل أو الترخيص والنضج المطلوب في معرفة العلوم الدينية.

يظهر جليا بأن في مدرسته، كان تعلم اللغة العربية جزءًا لا يتجزأ من المنهج الدراسي ولو كان المعلم واحد لجميع المواد الدراسية وركزت دروس اللغة العربية على الأساليب النظرية والعملية حيث تمارس لغة الحوار أثناء التحدث على الجانب

النظري، واعتماد دروس على كتب مختلفة أو على تعليقات المدرس ووفقا لشهادة الحافظ ادريس ديرماكو الذي درس لدي الامام حسين حسيني – المعروف بحسين قرية تيرنوس – الذي كان طالبا للحافظ نجات أحمدي. يقول الشيخ إدريس أن هناك عديد من الكتب استخدموا لتعليم اللغة العربية مع شيخه من بينها: الموعظة الحسنة ودرة الناصحين والقاموس الأختري الكبير لمساعدتهم في عملية الترجمة من اللغة العربية الى التركية والعكس.

كما كانوا يدرسون أوزان الأفعال وتصريف الأفعال وضرب الأمثلة والمختلفة والمعترضة لتعليم الصرف، أما بنسبة الأدب العربي فقد كانوا يهتمون بـ قوافي الأبيات لتعليم الأدب العربي والشعر ووصول الطالب الى مستوى التحليل النقدي من خلال اقتباس شعراء مختلفين وقصائدهم. والجوانب النحوية للغة العربية أخذوها من الكتب الإسلامية الأخرى في مختلف المجالات مثل التفسير أو الحديث. هذه النتيجة حقيقية للغاية عندما نعتبر وجود جوانب لغوية في جميع أنحاء الأدب العربي وأن هذا العنصر له أهمية خاصة. ويفتخر طلاب الشيخ نجات الى يومنا هذا بمعرفتهم العالية في اللغة العربية وتلقوا التقدير من قبل الجميع في هذا المجال وتدل ذلك الحوارات التي أجريت معهم في مجالس العلم تبين مهاراتهم واحترافهم في النحو والصرف والأدب العربي. وأحد طلابه الحافظ ادريس ديرماكو والعالم الديني فيما بعد يقول أن في مجالسهم العلمية تم النقاش في جميع القضايا الدينية وتصاحب تلك المجالس تعليقات تحليلية متكاملة.

ومستوى تعرفهم وإنجازهم في تعليم اللغة العربية و مقدرة محادثتهم بها إن دل على شيئ فإنها يدل على مهاراتهم في فهم اللغة العربية حيث يناقشون قواعد اللغة بالتفاصيل الرائعة ولكن لعدم استخدامهم للغة العربية يشكل عقبة في التحدث بها لانهم عاشوا في كوسوفا التي وإن كانت كلها مسلمة إلا أن العربية هي لغة أجنبية بنسبة لهم.

الجانب الآخر المتعلق بمستوى تعليمهم للغة العربية هو أنهم يعرفون بشكل جيد لغة الأدب الإسلامي ويفهمون مصطلحاته بقدر ما يمكنهم أن يتعمقوا في قضايا مختلفة ويتعاملون معها بمسؤولية، ومن ناحية أخرى ليسوا متؤهلين لمناقشة الموضوعات اللغوية المعاصرة.،ولكن إذا قرأت أمامهم نصًا باللغة العربية يمكن لهم بسهولة تحديد الأخطاء النحوية الممكنة. هذا دليل على مستوى تأهيلهم والتعرف على قواعد اللغة العربية.

وعلى الرغم من أهمية هذه الفترة والمساهمات الخاصة، يتم نسيان الأشياء بمرور الوقت، ويرحل الجيل القديم، وتضيع شهاداتهم بسبب عدم جمعها خلال وجودهم على قيد الحياة حيث أنهم أحسن الدليل على الحفاظ على اللغة العربية وتدريسها في فترات تخلت المؤسسات عن تعليمها وكان يتم تجاهلها على نطاق الواسع. لقد اعتنوا بها حتى مرت تعليمها في حضانات المدارس الحديثة والكليات الإسلامية حيث يتم تدريس اللغة العربية بشكل مؤسسي اليوم، بينما يسافر الطلاب لتعلمها في جامعات العالم العربي والبلاد العربية المختلفة بشكل البعثات والمنح الدراسية.

تجدر الإشارة إلى أن منبع التعليم وتدريس اللغة العربية كانت موجودة في العديد من مدن كوسوفا والتي كانت على نفس مستوى مدرسة الحافظ نجات أحمدي في بريشيفا ونحن لم نلق الضوء عليها لطبيعة الدراسة التي قمنا بتصنيفها. ويتمتع الباحثون في مستقبل بموضوع حيوي للبحث فيه يؤدون الأمانة في حق أجيال قاموا بتضحيات عظيمة للحفاظ على العلم الديني وتعليم اللغة العربية وبلاغها الى الأجيال القادمة. وندعو الله أن يجزيهم على ما قاموا به في خدمة المعرفة والحفاظ على اللغة العربية و القرآنية وحديث رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم حيث كان تعليم اللغة العربية بالنسبة لهم بمثابة ثمار الإيمان، وفي هذا الاتجاه قدموا مساهماتهم.

فجزاهم الله عنا خير الجزاء وأسكنهم تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المراجع :

١. الدكتور ياشار رجباكيج، تطور التعليم والنظام التعليميللقومية الألبانية في منطقة يوغسلافيا اليوم حتى سنة ١٩١٨ ط.ريلنديا ١٩٧٤ برشتينا ص ٣٢-٣٣

٢. البوابة الألكترونية، داناس بعنوان أين كانت توجد المساجد بمدينة بلغراد، تاريخ النشر ٠٧,٠٨,٢٠١٦

٣. محمد موفق، تاريخ بلغراد الإسلامية ص ٤٨

٤. انظر المجلة العلمية للمشيخة الإسلامية في مقدونيا "الهلال " ٤٨.Hëna e re nr (١٥ فبراير ١٩٩٣)

٥. Hëna e re ١٥ shkurt ١٩٩٣

٦. سليمان عثمان بن شريف "جهود الألبانيين في نشر سنة سيد المرسلين" أطروحة علمية مقدمة لنيل الدرجة العلمية ماجستير من جامعة بيروت الإسلامية ببيروت- لبنان ص. ٨٤ والكتاب موجود بمكتبة كلية الدراسات الإسلامية في برشتينا.

٧. شمس الدين سامي، قاموس الأعلام ص ١١١ الطبعة المترجمة باللغة الألبانية. صدرت ١٩٨٤ برشتينا

٨. مقابلة شخصية مع الشيخ إدريس درماكو بتاريخ ١٥يناير ٢٠١٩ وهو أحد تلاميذ للمرحلة السابقة وتعلم عن طريق المكاتب التقليدية لدى الشيوخ الذين كانوا يقيمون الدروس للطلاب. ولد سنة ١٩٣٤م ولا يزال بكامل أهليته العقلية والجسدية وذاكرا لما قام في أيام الرحلة لطلب العلم.

٩. وهو أحد أئمة منطقة وادي برشوا قام بوظيفة الإمامة طول حياته بلغ الثمانين من عمره ولا يزال يتمتع بصحة وعافية يستذكر تماما أيامه كطالب في المدرسة الخاصة لشيخ أحمد نجاتي وبغرض البحث قابلته في بيته بتارخ ١٢,٠١,٢٠١٩

١٠. هو الشيخ المعروف في وادي برشوا خدم الإسلام وتعليمه طول حياته إلى أن انتقل إلى جوار ربه وروايته أخذتها عن الشيخ شنسي فيض الله بنفس التاريخ المسبق وقد توفي الشيخ بتاريخ ٢٠,٠٨,٢٠١٠

١١. كان عالما من أعلام علماء الدين الإسلامي عند مسامي الألبان تخرج على يديه أجيال عديدة وكان يمثل مدرسة بكامل برنامجها حامل راية العلم والتعليم لا شك أن بيته كان يتقاسمها طلاب العلم من كل مكان والدعاة والأئمة توفي سنة ١٩٨٤

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2